المطلب الثانى

الصراع العقدى بين النصارى حول طبيعة المسيح – عليه السلام :

تناولنا فى المطلب السابق الصراع العقدى بين النصارى حول ألوهية الروح القدس وانبثاقة ، وكيف أدى ذلك الصراع إلى انقسام عظيم فى الكنيسة وبين أتباعها ، وفى هذا المطلب نجلى للقارئ الكريم فصلاً اخر ، ومعركة جديدة من معارك الصراع العقدى بين النصارى ، يتعلق ذلك الصراع بطبيعة المسيح – عليه السلام – ، وهذا الصراع حول طبيعة المسيح ، وإن كان يسبق فى التاريخ الصراع حول روح القدس ، إلا أننا قدمناه لأهميته حيث إن الطعن فى ألوهية الروح القدس يترتب عليه القضاء على عقيدة التثليث ، وبالتالى فهو هدمٌ لبناء المسيحية التثليثية من القواعد ، سرعان ما يخر سقف المسيحية التثليثية بسببه فوق رؤوس أصحابها .

ماهية الصراع وأهميته : –

أقر مجمع نيقية عقيدة الوهية المسيح والتثليث ، ولم يتعرض لإثارة هل للمسيح طبيعة واحدة لاهوتية ناسوتيه ، اتحد بعضها ببعض حتى صار طبيعة واحدة ؟ أم أن طبيعة المسيح الناسوتية أى كونه إنساناً خلق من العذراء مريم ، وطبيعته اللاهوتية (المزعومة) قد بقيتا فى المسيح من غير إتحاد ولا امتزاج ؟ تلك هى ماهية الصراع الذى دارت رحاه فى منتصف القرن الخامس الميلادى ، وكان هو السبب فى انفصال كنيسة الإسكندرية عن كنيسة روما ، وعن هذا الصراع يقول شنودة الثالث (موضوع طبيعة المسيح موضوع هام جداً ، كان سبب انقسام خطير فى الكنيسة فى منتصف القرن الخامس سنة ٤٥١م (١) ثم يمضى

---

(١) طبيعة المسيح / شنودة الثالث – ص ٥ – ط المحبة .

شنودة الثالث في بيان عقيدة كنيسة الإسكندرية القائلة بالطبيعة الواحدة رداً على غيرها من الكنائس القائلة بالطبيعتين فيقول " السيد المسيح هو الإله الكلمة المتجسد ، له لاهوت كامل ولاهوته متحد بناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغير ، إتحاداً كاملاً اقنومياً جوهرياً تعجز اللغة أن تعبر عنه حتى قيل إنه سر عظيم " عظيم هو سر التقوى " الله ظهر في الجسد (اتى ٣ : ١٦)

وهذا الاتحاد دائم لا ينفصل مطلقاً ولا يفترق ، نقول عنه في القداس الإلهي " إن لاهوته لا يفارق ناسوته لحظة واحدة ، ولا طرفة عين "

الطبيعة اللاهوتية (الله الكلمة) اتحدت بالطبيعة الناسوتية التي أخذها الكلمة (اللجوس) من العذراء مريم بعمل الروح القدس ، الروح القدس طهر وقدس مستودع العذراء طهارة كاملة حتى لا يرث المولود منها شيئاً من الخطيئة الاصلية ، وكون من دمائها جسداً اتحد به ابن الله الوحيد ، وقد تم هذا الاتحاد منذ اللحظة الاولى للحبل المقدس في رحم السيدة العذراء وباتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية داخل رحم السيدة العذراء تكونت منهما طبيعة واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسد ، لم تجد الكنيسة المقدسة تعبيراً أصدق وأعمق وأرق من هذا التعبير ، وهو التعبير الذي ، استخدمه كل من القديس كيرلس الكبير ، والقديس إثنا سيوس (١) وعلى هذا فالكنيسة القبطية ترى أن المسيح – عليه السلام – له طبيعة واحدة لاهوتية ناسوتية اتحدتا في رحم مريم العذراء بواسطة الروح القدس الذي كان لابد من تدخله – في زعمهم حتى لا يصل إلى المسيح شئ من الخطيئة البشرية عن طريق أمه العذراء " وتشترك في هذا الإيمان الكنائس السريانية والأرمنية والأثيوبية والهندية ، وهي الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية الكاثوليكية ،

---

(١) المرجع السابق – ص ٧ .

واليونانية الروم الارثوذكسية فتؤمن بطبيعتين للسيد المسيح ، وتشترك فى هذا الاعتقاد أيضاً الكنائس البروتستانتية ، ولذلك تعرف كل هذه الكنائس باسم أصحاب الطبيعتين) (١)

بداية ظهور هذا الصراع ونتيجته :

وبعد أن عرفنا ماهية الصراع وأهميته عند النصارى ، نشرع الآن فى بيان بداية ظهوره ونتيجته .

أ - بداية ظهور الصراع حول طبيعة المسيح:-

فى نهاية القرن الرابع الميلادى ظهر اتجاهان رئيسيان يتعلقان بطبيعة المسيح ، يتناقض كل منهما مع الآخر من ناحية ، ويتناقضان ما أقره مجمع نيقية من ناحية أخرى من أن المسيح إله كامل وإنسان كامل ، تبنى الرأى الاول منهما رجل يسمى" أبوليناديوس " فانكر أن يكون المسيح فيه روح إنسانية ، وادعى انه إله محض ، وتبنى الرأى الثانى منهما رجل يسمى " نسطور " فاعلن أن المسيح إنسان فقط ، وليس فيه شئ من الالوهية ، وعن الرأى الاول يقول " إيرل كيرنز " " من الآراء حول طبيعتى المسيح التى ظلمت ناسوت المسيح ولم تعطه حقه ، الرأى الذى طوره " أبوليناديوس " الذى كان مدرساً للخطابة ، وتجدد وأصبح اسقفاً فى لاودسية ، وقد قدم ابوليناديوس تعليمه الغريب عن لاهوت المسيح وناسوته عندما كان فى الستين من عمره وفى محاولة منه لتجنب ما راه غير لازم من فصل ما بين لاهوت المسيح وناسوته ، علم ابو ليناديوس أن لمسيح كان له جسد ونفس حقيقيان ، ولكن روح الإنسان فى المسيح قد استبدلت بحلول اللوجوس أى (الكلمة) فيه

---

(١) طبيعة المسيح / شنودة الثالث : ص ٨ .

واللوجوس باعتباره العنصر الإلهي الذي عمل بنشاط ليتسيد على العنصر الخامل الذي هو الجسد والنفس في شخص المسيح ، لقد ركز على لاهوت المسيح ، لكنه قلل من أهمية طبيعته البشرية (ناسوته) ، ولقد أدينت اراؤه رسمياً في مجمع القسطنطينية المسكوني في عام ٣٨٢م(١)

ومن هنا يتبين أن أبو ليناديوس قد أثبت للمسيح – عليه السلام– جسداً إنسانياً ، ونفى عنه الروح والنفس الإنسانية فتعارض بهذا رأيه مع رأى القائلين بأن المسيح إله كامل ، وإنسان كامل ، وعن الرجل الثاني " نسطور " وعقيدته يقول شنودة الثالث " كان نسطور بطريركاً للقسطنطينية من سنة ٤٢٨ م حتى حرمه مجمع أفسس المسكوني المقدس سنة ٤٣١م وكان يرفض تسمية القديسة العذراء مريم بوالدة الإله ، ويرى أنها ولدت إنساناً ، وهذا الإنسان حل فيه اللاهوت لذلك يمكن أن تسمى العذراء أم يسوع ، وقد نشر هذا التعليم (أنطاسيوس) وأيد هو تعليم ذلك القس ، وكتب خمسة كتب ضد تسمية العذراء والدة الإله ، ويعتبر أنه بهذا (قد أنكر لاهوت المسيح ، وحتى قوله أن اللاهوت قد حل فيه لم يكن بمعنى الاتحاد الاقنومي ، وإنما حل بمعنى المصاحبة وقال إن العذراء لا يمكن أن تلد الإله ، فالمخلوق لا يلد الخالق وما يولد من الجسد ليس سوى جسد (٢) وهكذا كان (نسطور) هو وقسيسه يؤمنان بأن مريم العذراء لم تلد إلهاً ، وإنما ولدت بشراً كسائر البشر ، بيد أن الله فضله على البشر بالنبوة ، كما يبدو هذا في كلامه الذي ذكره شنودة نفسه ، ومن أجل مقالة نسطور هذه انعقد : مج افسس المسكوني الثالث في سنة ٤٣١م لإقرار ان في المسيح طبيعة لاهوتية منذ ان كان في رحم مريم ، ولعن نسطور ، ومن يرى رأيه ثم وضع مقدمة قانون الإيمان والتي تقول " نعظمك يا أم النور الحقيقي

(١) المسيحية عبر العصور : ص ١٥٦ .

(٢) طبيعة المسيح : ص ١٠ .

وعجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله ، لأنك ولدت مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل إكيل الشهداء تهليل الصديقين ثبات الكنائس غافر الخطايا نكرز ونؤمن بالثالوث المقدس لاهوت واحد نسجد له ونمجده يا رب ارحم يارب بارك آمين " (١)

مجمع خلقيدونية ٤٥١م والانشقاق بعده :

ومع أن مجمع أفسس قد عُنى بالرد على نسطور والتأكيد على الطبيعة اللاهوتية للمسيح – على زعمهم – فإنه مع ذلك لم يفصل فى قضية الطبيعة والطبيعتين ، وإنما استمر ذلك الخلاف ، كما يذكر " جون لورير " ونتيجة لانتشار ذلك الخلاف وتغير الظروف السياسية فى روما ، انعقد مجمع خلقيدونية (٢) الذى حضره ما بين خمسمائة وستمائة من الأساقفة للفصل فى أمر الطبيعة والطبيعتين ، وبعد مناقشات طويلة تصدى خلالها " ليو " بابا روما للقائلين بالطبيعة الواحدة ، ومنهم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، خرج المجمع بقانون الإيمان الخلقيدونى ، والذى يعلن فيه أن فى المسيح طبيعتين لا طبيعة واحدة ، ويلغى قرار مجمع إفسس .

نص قانون مجمع خلقيدونية :

" فلهذا كلنا بصوت واحد نعلم البشر أن يقروا بالإبن الوحيد والمولود الوحيد الله الكلمة الرب يسوع المسيح (٣)

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية : منس حنا – ص ٢٥٦ وللمزيد من التفصيل حول مجمع إفسس يراجع تاريخ الكنيسة – جـ ٣ ص ١١٢- ١٢٢ .

(٢) تاريخ الكنيسة : جـ٣ منص ١٢٢-١٢٨ .

(٣) يراجع طبيعة المسيح : شنودة الثالث – ص ١١-١٣ ، تاريخ الكنيسة القبطية – ص ١٥٨ .

وينقل الشيخ أبو زهرة – رحمه الله – عن مؤلفة كتاب تاريخ الأمة القبطية – أن الاساقفة القائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بالطبيعتين، قد تعاركوا بالألسنة والأيدى ، ورمى بعضهم بعضاً بالسب والهرطقة حتى تدخل رجال الحكومة الرومانية لفض هذا الاشتباك . (١)

ولا تعترف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بمجمع خلقيدونية بل وتعده هرطقة وبدعة (٢) .

انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية :

ونتيجة لقرار مجمع خلقيدونية وإصرار الكنيسة المصرية على ما ذهبت إليه من القول بالطبيعة الواحدة ، وإصرار كنيسة روما على القول بالطبيعتين ، واتهام كل من الكنيستين الأخرى بالهرطقة والتجديف حدث (منذ ذلك الوقت) الانفصال بل والصراع بين كنيسة روما الكاثوليكية ومشايعيها من ناحية وكنيسة الإسكندرية ومشايعيها من ناحية أخرى .

الاضطهاد الرومانى للمصريين بسبب عقيدتهم :

يذكر الأستاذ جون لورمر أن الرومان بعد مجمع خلقيدونية قد عزلوا ديوسقروس بابا الإسكندرية ، وأمروا بنفيه وقاموا بتعيين رجل آخر موال لكنيسة روما ، لكن المصريين انقضوا عليه وقتلوه ، وطالبوا

---

(١) تاريخ الكنيسة : جـ٣ ص ٢٢٨ .

(٢) محاضرات في النصرانية : ص ١٦٩ .

بتعيين بطريرك على مذهبهم وكان الرومان كثيراً ما يضطهدون المصريين من أجل ذلك ، وقلما استجابوا لهم ، ولقد أوقع الرومان بالمصريين من الاضطهاد مثلما أوقعوه بالنصارى قبل أن تتنصر الإمبراطورية الرومانية(١) وقد ظل ذلك الاضطهاد قائما حتى الفتح الإسلامى لمصر فى القرن السابع الميلادى .

ولم ينقذ المصريين من يد الرومان ، ولم يرُد بنيامين بابا الإسكندرية المعزول الهائم على وجهه فى الصحراء ، خوفاً من الرومان إلا الإسلام ورجاله ، كما شهد بذلك النصارى أنفسهم .(٢)

وقد ظهر فى منتصف القرن السادس الميلادى رجل يسمى يعقوب البرادعى تبنى المذهب القائل بالطبيعة الواحدة وعمل على نشره، ونشط فى ذلك نشاطاً كبيراً حتى نسب ذلك المذهب إليه ، واشتهر بالمذهب اليعقوبى ، وسمى أتباعه باليعاقبة (٣) كما سمى أتباع مذهب الطبيعتين بالملكانية نسبة إلى ملك الرومان (٤) وإذا كان الاختلاف فى طبيعة المسيح هو الخلاف الرئيسى بين الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية ، فإن هناك اختلافات أخرى أججت نار الصراع ووسعت دائرة الخلاف بينهما نوجزها فى النقطة التالية .

---

(١) يراجع تاريخ الكنيسة : جـ ٣ – ص ١٣٩ .

(٢) يراجع تاريخ الكنيسة المصرية : رفيق حبيب ، محمد عفيفى : ص ٤١-٤٢ – ط الدار العربية للطباعة والنشر ص ١٩٤ .

(٣) للتعرف على تاريخ : يعقوب البرادعى ورأية يراجع تاريخ الكنيسة القبطية : مسى حنا – ص ٢٧٣ .

(٤) يراجع فى هذا الفصل فى الملل والأهواء والنحل : للإمام ابن حزم الأندلسى – جـ١ – ص ٤٨ ،٤٩ – ط دار المعرفة ومحاضرات فى النصرانية– ص١٧٢،١٧١.

أهم ميادين الصراع الآخرى بين الكاثوليك والأرثوذكس :

إذا كان الصراع العقدى حول طبيعة المسيح – عليه السلام – كان هو السبب الأعظم فى انفصال كنيسة الإسكندرية الأرثوذكسية أى المستقيمة الرأى – فى زعمهم – عن كنيسة روما التى أطلقت على نفسها مصطلح " الكاثوليكية " أى المذهب العام أو (الكنيسة الام) وكلا التسميتين الكاثوليكية والارثوذكسية فيها دليل على اعتزاز كل كنيسة برايها وإعلانها أن رأيها الحق الذى ما سواه باطل ، أقول إذا كان الأمر كذلك فإن هناك ميادين أخرى للصراع بين الكنيستين غير موضوع الطبيعة والطبيعتين ، نحاول أن نوجز أهمها فيما يلى : –

١ – الصراع حول الخلافة الرسولية :

ويقصد بذلك من هى الكنيسة الجديرة بان تكون الكنيسة الأم ، أو التى تحمل لواء المسيحية فى العالم ، او الجديرة بأن يكون فيها الكرسى الرسولى اى كرسى خلفاء المسيح – فى زعمهم – ؟ فادعت كنيسة روما أنها ام الكنائس ، وأن رئيسها هو الحبر الأعظم ، محتجة لذلك بأن مؤسس كنيسة روما هو بطرس رئيس الحواريين الذى قال له المسيح " أنا اقول لك أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها " (١) ويطلق على رئيسها أيضاً كلمة " البابا " " والبابا كلمة مشتقة من الكلمة القبطية بى ابا ، أى البابا أو الأب هو الرئيس الأول فى الديانة النصرانية الكاثوليكية ، وكان فى بادئ الأمر يسمونه البطريرك ، وأول من تسمى بالبطريرك هو حانيا تلميذ مرقس الإنجيلى، وكان الاساقفة يدعون البطريرك بالأب تعظيماً له فاشتبه الأمر عليهم فى العصور المتقدمة ، وأرادوا أن يميزوا بين البطريرك والأسقف ، فدعوا

---

(١) إنجيل متى : ص ١٦ ، ف ١٨ .

البطريرك " بابا " ، ومعناه أبو الآباء ، وأول ظهور لهذا اللقب كان فى مصر ، ثم نقل إلى صاحب كرسى بطرس الرسول فى روما ، وفى سنة ١٠٨١ م قرر المجمع اللاترانى بأن مطران روما له السلطة التامة على سائر المطارنة ، وهو وحده يحمل لقب البابا الذى معناه المطران العام ، وفى سنة ١٨٩٠ م قرر المجمع الفاتيكانى عصمة البابا من الخطأ ، (١) ولقد زاد من نفوذ باباوات روما إنشاء ما يسمى بدولة الفاتيكان ، والبابا هو رئيس تلك الدولة " تبلغ مساحة الفاتيكان حوالى ١١٠ فداناً ، وفى عام ١٨٧٠ م أصبحت هذه الدولة جزءاً من إيطاليا ، وبموجب إتفاقية لاتران سنة ١٩٢٩ م عين البابا حاكماً عليها على سبيل التعويض ، وقد تم توقيع وثيقة تاريخية بين إيطاليا والفاتيكان ، فى عام ١٩٤٨ م تعترف إيطاليا بموجبها لاول مرة بحق كل منهما أن تكون دولة مستقلة ذات سيادة ، وتعتبر مكتبة الفاتيكان المؤسسة فى القرن الخامس عشر من أقدم مكتبات العالم ، وتحتوى على خمسين الف مخطوط ، وبها ما يقرب من أربعمائة الف كتاب كثير منها نادر (٢) " ومداخل الفاتيكان تتمثل فى ثلاثة أبواب (باب البرونز) (وباب قوس الأجراس) و (باب القديسة ان) ويقع القصر البابوى لرئيس دولة الفاتيكان فى ميدان القديس بطرس ، وأما كرسى البابا فهو كرسى ضخم مصنوع من الذهب والبرونز ، وزخارفه الغريبة ، تعود للقرن الثانى الميلادى ، وللفاتيكان إذاعة هى الوحيدة فى العالم التى تبث بـ ٣٧ لغة ... وسكان الفاتيكان يحملون الجنسية (الفاتيكانية) هذه الجنسية التى تسمح لحاملها فى إيطاليا بتسهيلات وخدمات ضخمة بإعفائه من الضرائب ، والخدمة العسكرية وشراء وقود السيارات بسعر التكلفة ، وللصحافة فى عاصمة الكنيسة مكانة هامة . إذ على محدودية الدولة إلا أنه يصدر فيها أربع صحف"(٣).

---

(١) الموسوعة الميسرة : ص ٩٩١ .

(٢) المرجع السابق : ص ١١١٦ .

(٣) على أعتاب الفاتيكان : محمد عيسى داود – ص ١١، ١٤ – ط البشير .

وعلى هذا فإن النصارى الغربيين يعتقدون أن بابا روما هو خليفة بطرس وله الكلمة العليا على المسيحيين في كل المسكونة ، وذلك لأنه الوريث الشرعي لبطرس رئيس الحواريين ، وإذا كان هذا هو رأي كنيسة روما ، فإن كنيسة الإسكندرية لا تسلم لها بالزعامة أو الخلافة الرسولية ، ولا تعترف ببابوات روما ، وإنما يعتقد المسيحيون الأرثوذكس بأن التقدم والزعامة لبطريرك الإسكندرية وذلك لأنه خليفة الرسول مرقس صاحب الإنجيل ، والذي دخلت المسيحية مصر على يديه (١)

وكان خلفاؤه يدعون بطاركة الإسكندرية حتى بعد قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م ، ونتيجة لعوامل سياسية في العقد السادس من القرن العشرين ، أعطى بطريرك الإسكندرية لقب (البابا) (٢)

فصار يدعى بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

ب - الصراع حول انبثاق الروح القدس :

حيث ترى الكنيسة الغربية أن روح القدس منبثق عن الآب والإبن معاً ، بينما ترى الشرقية انبثاق الروح القدس عن الآب فقط .

جـ - الصراع حول المساواة بين الآب والإبن :

فقد رأت الكنيسة الغربية أن الإبن والآب متساويان في الرتبة ، بينما ترى الشرقية بأن الآب أعظم درجة من الإبن وبسبب هذه الخلافات بالإضافة إلى الاختلاف حول الطبيعة والطبيعتين ، حاولت الكنيسة الرومانية بتأييد من الدولة أن تمعن في اضطهاد النصارى الشرقيين ، وإكراههم على اعتناق المذهب الكاثوليكي ، فكان اضطهادهم لا يقل بحال عن اضطهاد الرومانيين قبل تنصرهم للنصارى ،وفي هذا يقول د / محمد

---

(١) للمزيد من التعرف على مرقس يراجع تاريخ الكنيسة القبطية ص ١١: ١٦ .

(٢) تراجع جذور الفتنة الطائفية في مصر : جمال بدوي – ص ٥٠- ٥٥ – ط الهيئة العامة

عمارة " ولقد مارست الكنيسة النصرانية الغربية ، ومعها الدولة الرومانية والبيزنطية ، بعد تدين هذه الدولة بالنصرانية ، مارستا حرباً من الاضطهاد البشع ضد النصرانية الشرقية ، والمصرية منها على وجه الخصوص ، حتى لقد اعتبر النصارى المصريون هزيمة الدولة البيزنطية أمام الفتح الإسلامي عقاباً إلهياً لهذه الدولة وكنيستها على الاضطهاد الذي مارسوه ضد نصارى مصر ، عندما أصبحوا في هذا الاضطهاد الديني والحضاري طعاماً للنار ، والأسود وأسماك البحار وصبت عليهم كل ألوان التعذيب . فكتب ميخائيل السرياني يقول " لم يسمح الإمبراطور لكنيستنا المونوفيزتية أي القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح بالظهور ، ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نهبت ، ولهذا انتقم الرب منه ، لقد اقتحم الرومان الأشرار ، كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة ، واتهمونا دون شفقة ، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل (أي العرب المسلمون) ينقذونا من أيدي الرومان ، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية وعشنا في الإسلام (١) وإذا كان عداء الكنيسة الكاثوليكية للكنائس الشرقية قد بلغ هذه الدرجة مع النصارى الأرثوذكس ، فلا عجب بعد ذلك مما صنعته الكنيسة الغربية مع العالم الإسلامي ، فقد رضيت لنفسها أن تكون أداة في يد الاستعمار ضد المسلمين ، فلقد شنت ضد الشرق الإسلامي حرباً صليبية مقدسة ، استغرقت حملاتها قرنين من الزمان ٤٨٩-٦٩٠ هـ ، ١٠٦٩-١٢٩١م ، وأشركت فيها الملوك وأمراء الإقطاع والرعاع من سائر أنحاء أوربا حتى لكانتها أول الحروب العالمية التي مارسها الغرب ضد الشرق ، وفي الحرب الصليبية استخدمت الكنيسة الدين لتحقيق المقاصد الاستعمارية ، ولإعادة الشرق من التحرر الإسلامي الذي أنقذ الشرق ونصرانيته من إبادة الاضطهاد الإغريقي الروماني الذي دام عشرة قرون ، من الإسكندر الأكبر في

---

(١) الغرب والإسلام أين الخطأ وأين الصواب ؟ د : محمد عمارة ص ١٢١، ١٢٢ – ط دار الشروق –

القرن الرابع قبل الميلاد إلى الفتوحات الإسلامية في القرن السابع للميلاد (١) .

وقد اصطحبت تلك الحملات معها رجال الدين من الكاثوليك وجيوشاً ضارية ، قد فقدت قلوبهم كل معاني الإنسانية " ففي موقعة الصليبيين للقدس وحدها سنة ١٠٩٩ م تمت مجزرة الإبادة الكاملة لسكانها المسلمين ومعهم اليهود بالقتل والذبح والإحراق ، ونحن ننقل عن شهود العيان النصارى الذين حفظت لنا مشاهداتهم المصادر النصرانية ، لمحة من لمحات هذه الحرب الدينية النصرانية على الإسلام والمسلمين ، تقول هذه الشهادات – في كتاب تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، الدعوة حرب الصليب " عن ديوان المشورة العسكرية وقطع حكماً مرهباً ، وهو أن يمات كل مسلم باق داخل المدينة المقدسة ، وهذا الحكم المهيل قد تباشر بالعمل ، ودامت هذه الملحمة مدة سبعة أيام كاملة ، وحتى الذين هربوا واحتموا بالمسجد – مسجد عمر بن الخطاب – (قبة الصخرة) نكهم الصليبيون في المسجد ، وبعبارة شهود العيان على انه عبثاً ، كان المسلمون في أورشليم يحدّون مفتشين عن مهرب يحمون به حياتهم ، فعدد كبير منهم قد هربوا إلى جامع (عمر) ظانين أنهم هناك يحمون ذواتهم من الموت ، ولكن ظنهم خاب ، إذ أن الصليبيين خيّالة ومشاة قد دخلوا الجامع وأبادوا بحد السيف كل الموجودين هناك حتى استوعب الجامع بحراً متموجا ، علا إلى حد الركب ، بل إلى لُجُم الخيل ، وذلك مما فتكت به سيوف الجيوش الصليبية رقاب المسلمين (٢) وهكذا يبدو بجلاء مدى الوحشية الكاثوليكية في تلك الفترة ، فلم يرحم الصليبيون شيخاً كبيراً ولا صبياً صغيراً ، بل ولم يصونوا حرمة المسجد ، كل هذا وهم يدّعون أنهم أصحاب رسالة المحبة والدعوة إلى السلام ، ويبدو أن الكنيسة الكاثوليكية والتي ذاقت من قبل ألوان الهوان على يد الرومان أيام

---

(١) المرجع السابق : ص ١٢٣ .

(٢) الغرب والإسلام : محمد عمارة – ص ١٢٤ .

وثنيتهم . قد أرادت أن تذيق المسلمينَ ما ذاقت (بعد أن تنصرت روما) ، لكن بصورة أشد بشاعة وأكثر وحشية .

وبالإضافة إلى ما سبق فهناك اختلافات تشريعية بين الكنائس الشرقية والغربية ، فمثلا تحرم الكنيسة الشرقية أكل الدم والمخنوق عملاً بما قرره مجمع أورشليم الذى انعقد بعد رفع المسيح بنحو اثنتين وعشرين سنة . (١) بينما أباحت كنيسة روما أكل المخنوق والدم ، وفيما يتعلق بالعشاء الربانى حافظت الكنائس الشرقية على الخبز مع الخمر اخذه بما ورد فى الإنجيل (٢) ، بينما استبدلت الكنيسة الغربية للفطائر بالخبز ولم تر فى ذلك بأساً . وفيما يتعلق بالطلاق أجازت الكنيسة الشرقية الطلاق فى حالة الزنا ، وحرمت على كلا المطلقين الزواج ، بينما لم تجز الكنيسة الغربية الطلاق ولو لعلة الزنا (٣)

---

(١) يراجع سفر أعمال : ص ١٥ .

(٢) يراجع إنجيل متى : ص ٢٦ – ف (٢٦-٢٩) .

(٣) يراجع فى هذا بالتفصيل ك شريعة الزوجة الواحدة – شنودة الثالث – ، ط الثقافة . وك نظام الزواج فى الشرائع اليهودية والمسيحية : محمد شكرى سرور / ص ٢٨٩-٣٠٥ – ط دار الفكر العربى سنة ١٩٧٨ م ، الزواج والطلاق فى جميع الاديان : عبد الله المراغى – ص ٤٤٣-٤٤٨ – ط سنة ١٩٦٦م ، ونظام الأسرة بين الاقتصاد والدين : د / ثروت انيس الأسيوطى – ص ٢٥٨ – ط الثالثة ١٩٨٨

المطلب الثالث

الصراع العقدى بين النصارى حول المشيئة والمشيئتين :

انتهى مجمع خلقودينية سنة ٤٥١م بتقرير أن فى المسيح طبيعتين لا طبيعة واحدة ، فانفصلت بذلك كنيسة الإسكندرية نهائياً عن الكنائس الغربية القائلة بالطبيعتين ، ولم يبق الاستقرار طويلاً بين القائلين بالطبيعتين ، بل سرعان ما نشبت معركة جديدة حول موضوع جديد ، ألا وهو موضوع المشيئة والمشيئتين ، فإذا كان للمسيح طبيعتان إلهية وإنسانية – على زعمهم فهل كان له كذلك مشيئتان كما أن له طبيعتين أم أنه له مشيئة واحدة ؟

المارونيون ومذهبهم فى هذه المسألة :

المارونية طائفة من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين ، ينتسبون إلى القديس مارون الذى اعتزل فى الجبال والوديان مما جنب الناس اليه مشكلين طائفة عرفت باسمه ، وكانت حياته فى أواخر القرن الرابع الميلادى فيما كان موته حوالى سنة ٤١٠م بين أنطاكية وقورس ، وقع خلاف شديد بين أتباع مارون وبين كنيسة الروم الارثوذكس (١) مما اضطرهم إلى الرحيل عن أنطاكية إلى قلعة المضيق على نهر العاصى ، مشيدين هناك ديراً يحمل اسم القديس (مارون) ، وهناك وقع خلاف آخر فى المكان الجديد بينهم وبين اليعاقبة الأرثوذكس من أصحاب الطبيعة الواحدة عام ٥١٧ م مما أسفر عن تهديم ديرهم ، فضلاً عن مقتل ٢٥٠ راهباً من رهبانهم . (٢)

---

(١) هذا الخلاف بسبب انبثاق الروح القدس حيث يقول المارون بما يقول به الكاثوليك ه : انبثاقه من الأب والابن ويقول الروم الأرثوذكس بانبثاقه من الأب فقط .

(٢) الموسوعة الميسرة : ص ٦٣٦ .

وهكذا كانت نشأة المذهب المارونى منذ القرن الرابع الميلادى على يدى ذلك الرجل المسمى مارون ، الذى ادّعى أن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة .

انتشار المارونية على يد يوحنا مارون :

" ولد يوحنا مارون فى (سروم) قرب أنطاكية ، وتلقى دراسته فى القسطنطينية توعين أسقفاً على البترون على الساحل الشمالى من لبنان ، اظهر معتقد الموارنة سنة ٦٦٧ م ، الذى يقول بأن فى المسيح طبيعتين ولكن له مشيئة واحدة لإلتقاء الطبيعتين فى أقنوم واحد . (١)

ومن هذا يتبين أن (يوحنا مارون) ليس هو مؤسس المارونية ، وإنما هو انشط رجالها الذى ازدهرت على يديه إلى الحد الذى دعا الكنيسة الرومانية إلى عقد مجمع للرد على المارونيين والدفاع عن عقيدة الطبيعتين والمشيئتين .

مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ م :

عن هذا المجمع يقول ابن البطريق " ظهر فى القرن السابع الميلادى رجل يسمى يوحنا مارون سنة ٦٦٧ م ، وكان يدعو إلى عقيدة أن المسيح له طبيعتان ، ولكن له مشيئة واحدة ، فانزعج لذلك أصحاب المذهب القائل بالطبيعتين والمشيئتين ، واجتمع لذلك ٢٨٩ أسقفاً لمحاكمة من يخالف المذهب الملكانى ، قالوا إننا نؤمن بأن الواحد من الثالوث الابن الوحيد الذى هو الكلمة الأزلية الدائم ، المستوى مع الأب الإله فى أقنوم واحد ، ووجه واحد ، يعرف تاماً بناسوته تاماً بلاهوته فى الجوهر الذى

---

(١) يراجع السابق ص ٦٣٧ ، والأسفار المقدسة ص ١٣٤ ، ومحاضرات فى النصرانية ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين ، وفعلين ومشيئتين فى أقنوم واحد (١)

ومن هذا يتبين أن الكنيسة الرومانية قد حكمت بالحرمان والمرطقة على اتباع المذهب المارونى بسبب إصرارهم على القول بالمشيئة الواحدة

محاولة الكنيسة الرومانية القضاء على المذهب المارونى وفشلها فى هذا :

ولقد حاولت كنيسة روما القضاء على أتباع المارونية بقوة السلاح، لكنها كانت تواجه بقوة عاتية .

" فبعد يوحنا مارون أول بطريرك لطائفة الموارنة تصدى جيش من الموارنة لجيش قادة (يوستغيان الثانى) الذى أراد هدم معابدهم، واستئصالهم ، إلا أن الموارنة هزموه فى أميون ، مما أظهر أمرهم كأمة جبلية ذات شخصية مستقلة (٢) .

كنيسة روما تنجح فى تقريب المارون وجعلهم حليفاً لها :

وبعد أن عجزت الكنيسة الرومانية عن القضاء على المارونية بقوة الجيش لجأت إلى سلاح المفاوضات ، فحاولت تقريب المارون ، ونجحت فى ذلك إلى حد كبير ، وفى هذا تقول الموسوعة الميسرة " لقد تحاليت كنيسة روما بعد ذلك عليها فى سبيل تقريبهم منها حيث قام البطريرك المارونى ارميا العمشيتى بزيارة لروما حوالى سنة ١١١٣م ، وعند عودته أدخل بعض التعديلات فى خدمة القداس ، وطقوس العبادة وسياسة

---

(١) نقلاً عن يا أهل الكتاب د / رؤوف شلبى – ص ٢٤٣- ٢٤٤ .

(٢) الموسوعة الميسرة : جـ ٢ – ص ٦٢٧ .

الكهنة ، ولقد زاد التقارب بينهما حتى بلغ فى عام ١١٨٢م إعلان طاعتهم للكنيسة البابوية ، أما فى عام ١٧٢٦ م فقد بلغ التقارب حد الاتحاد الكامل معها ، فأصبحت الكنيسة المارونية بذلك من الكنائس الأسيرة لدى بابوات روما ، لقد كان لهم دور بارز فى خدمة الصليبيين من خلال تقديمهم ادلاء لإرشاد الحملة الصليبية الاولى إلى الطرق والمعابر ، وكذلك إرسالهم فرقة من النشابة المتطوعة إلى مملكة بيت المقدس ، لقد بلغ رجالهم القادرون على القتال ٤٠٠٠٠ على ما ذكر مؤرخو الحروب الصليبية(١) ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا التقارب كان ذا صبغة سياسية ، أما الناحية العقدية فكل كنيسة لا تزال محتفظة بعقيدتها (٢) وتتفق مع الكنيسة الارمانية كنيسة الإسكندرية فى القول بأن للمسيح مشيئة واحدة ، وإن اختلفت معها فى عقيدة الطبيعة ، حيث ترى كنيسة الأرمن أن فى المسيح طبيعتين متفقة بذلك مع كنيسة روما ، وبعد فقد كانت تلك المعركة جديدة من معارك الصراع العقدى بين النصارى القائلين بالوهية المسيح ، انتهت بما تنتهى إليه تلك المعارك دائما من الاتهام بالتكفير ، وتبادل القرارات بالطرد والحرمان من رحمة الله ، ومن دائرة الخلاص المزعوم ، وقد حاولت خلالها كل كنيسة أن تنتصر لرأيها الذى لا سند لها فيه غير الهوى والظن ، بعيداً عن كتاب سماوى صحيح ، أو فكر إنسانى سليم .

---

(١) المرجع السابق – ص ٦٢٧ .

(٢) يراجع محاضرات فى النصرانية – ص ٢٠٢ .

" المبحث الثالث "

الصراع العقدى بين الكنائس التقليدية والإصلاحية وموقف الإسلام منه :

تمهيد :

تناولنا فيما سبق أهم ميادين الصراع العقدى بين الطوائف النصرانية القديمة حول عقيدة التثليث ، وفى هذا المبحث نعرض – بحوله تعالى وقوته – إلى ميدان جديد من ميادين الصراع العقدى بين الطوائف النصرانية المثلثة ، وهو صراع ظهر وانتشر منذ بداية القرن السادس عشر الميلادى . إنه الصراع بين الكنائس التقليدية أى القائلة بوجوب اتباع تقاليد الآباء المتوارثة عن المجامع والقديسين (عندهم) ، وبين الكنائس غير التقليدية أو الإصلاحية التى تدعو إلى استقاء العقائد الدينية من الكتاب المقدس مباشرة بعيداً عن الفكر البشرى ، ولو كان أصحابه يدعون قديسين ، ومن ثم تسمى تلك الحركة بعدة أسماء ، منها حركة الإصلاح الدينى أو الحركة الإصلاحية ، لأنها دعت إلى إصلاح بعض العقائد والأفكار لدى الكنائس التقليدية الكاثوليكية ، والأرثوذكس ويسمى أصحابها كذلك بالبروتستانت أى المحتجون (المعترضون) وإنما أطلق أصحابها على أنفسهم هذه التسمية لاعتراضهم على كثير من العقائد والطقوس الدينية لدى الكنيسة الكاثوليكية بوجه خاص ، ويطلق على تلك الحركة أيضاً الحركة الإنجيلية لدعوة أصحابها إلى الاعتماد على الإنجيل مباشرة دون الرجوع . إلى غيره من أقوال الآباء والقديسين ، وتسمى كذلك بالكنيسة اللوثرية نسبة إلى أكبر زعمائها مارتن لوثر (١) .

---

(١) يرجع هذا فى الأسفار المقدسة : ص ١٤٠ ، ومحاضرات فى النصرانية – ص ٢٠٤ ، والموسوعة الميسرة ص ٦٢٥ .

وجدر التنبيه إلى أن حركة الإصلاح الدينى لا تتصارع مع الكنائس التقليدية حول أصل من أصول الإيمان عندهم مثل الوهية المسيح أو التثليث ، وإنما كان صراعها مع تلك الكنائس حول أمور أخرى عقدية وطقسية يوجزها شنودة الثالث بقوله " الخلافات بيننا وبين البروتستانت كثيرة بعضها يتعلق بالإيمان وبعضها فى الطقوس ، والبعض فى النظام الكنسى وفى أمور العبادة (١) ، ثم شرع شنودة فى بيان تلك الاختلافات ، فبعد الاختلاف حول الطبيعة والطبيعتين فى المسيح وانبثاق الروح القدس ، وقد جنحت فى هاتين القضيتين كنيسة الإصلاح إلى ما ذهبت إليه الكنيسة الكاثوليكية قال " والبروتستانت لا يؤمنون بأسرار الكنيسة السبعة ، ولا يؤمنون بالتقليد أو التسليم الرسولى ، ولا يقبلون الكهنوت وينكرون الطقوس ولا يؤمنون بالاعتراف ، ولا بالعشاء الربانى ولا يؤمنون ببعض أسفار الكتاب المقدس مثل سفر طوبيا ، ويهوديت ويشوع بن سيراخ وباروخ ، وسفر الحكمة ، وسفرى المكابيين وبعض أجزاء أخرى من الكتاب ، واعتبارهم " أبوكريفا " أى غير قانونية ، وعدم ضمها إلى الكتاب مثلما تضم فى ترجمة الكاثوليك للكتاب ، ولا يؤمنون بأصوام الكنيسة ولا رهبانية لدى البروتستانت ولا يؤمنون بالصلاة على الموتى ، ولا شفاعة العذراء والقديسين ، ويحرمون وجود الصور بالكنيسة والأيقونات ولا يتجهون إلى الشرق فى صلاتهم ، ولا يستخدمون البخور والشموع ولا يؤمنون بمواهب الروح القدس (٢)

والذى يعنينا هنا هو أهم هذه الخلافات وأبرزها ، والتى كانت بسببها تلك الحلقة من حلقات الصراع العقدى بين النصارى ، وأهم تلك الصراعات وأكثرها وحشية وضراوة ما كان حول هذين الأمرين :

الأمر الأول : سلطان رجال الكنيسة .

الأمر الثانى : عقيدة الخبز الثانى .

---

(١) اللاهوت المقارن : ص ١١ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٢-١٩ .

وفيما يلى نعرض لصراع النصارى حول هذين الأمرين:

أولا : الصراع العقدى بين الكنائس التقليدية والبروتستانتية حول سلطان رجال الكنيسة :

يعتقد النصارى (من غير البروتستانت) أن المسيح قد أعطى لرجال الدين عندهم سلطة التحريم والتحليل ، والغفران والحرمان فمن حقهم أن يعذبوا من يشاءون ، ويرحموا من يريدون فقد تنازل لهم المسيح عن تلك السلطة الإلهية المزعومة .

وفيما يلى نعرض لأدلتهم على هذه العقيدة :

استدلال الكنائس التقليدية على تلك العقيدة وبيان فسادها :

حرص كتاب الاناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى على أن يثبتوا أن هناك سلطة ممنوحة من المسيح لرجال الدين عندهم فإنجيل " متى " مثلاً يعلن أن المسيح قد أعطى سلطة التحريم والتحليل لبطرس رئيس الحواريين ، حيث جاء فى الإصحاح السادس عشر من هذا الإنجيل - حكاية عن المسيح - أنه سأل تلاميذه قائلاً " وأنتم من تقولون إنى انا . فاجاب سمعان بطرس قائلاً أنت هو المسيح بن الله الحى . فقال المسيح طوبى لك يا سمعان بن يونا ، فما أعلن لك هذا لحم ودم ، بل أبى الذى فى السموات ، وأنا أيضاً أقول لك أنت صخرة ، وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى ، وقوات الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السماء (١) .

---

(١) إنجيل متى - ص ١٦ - ف (١٥ - ١٩) .

ويستدل النصارى التقليدون بهذا النص على أن المسيح قد أعطى لبطرس رئيس الحواريين هذه السلطة ، وإذا كانت قد أعطيت لبطرس فهي كذلك معطاة لخلفائه من بابوات روما ، وفى هذه يقول وليم باركلى " ثارت حول تفسير هذه الآيات العواصف ، وقد كان من الصعب أن نحاول أحد تفسيرها دون تحيز إلى جانب أو آخر ، لأن الكنيسة الكاثوليكية تتخذ من هذه الآيات أساساً لعقيدتها ونظامها فى مركز البابا من الكنيسة ، فقد فسرت الكنيسة الكاثوليكية هذه الآيات لتعنى أن السيد المسيح أعطى لبطرس السلطان الذى به يسمح بدخول البشر ملكوت السموات ، أو يطردهم ويحرمهم من هذا الملكوت والسلطان الذى به يغفر الخطايا لانسان ما ، ويربط خطايا الآخر فلا تغفر ، وهكذا قالت الكنيسة الكاثوليكية فى تفسيرها أن هذا السلطان أعطى لبطرس الذى صار فيما بعد أسقفاً لروما ، وتسلل هذا السلطان وتسلم منه إلى أساقفة روما الذين جاءوا بعده ، واتخذوا خليفة البابا رئيس الكنيسة ، وأسقف روما " (١) .

بطرس الذى مُنح هذا السلطان كذاب وشيطان فى رأى المسيح :

وإذا كان متى كاتب الإنجيل الأول قد ذكر فى الإصحاح السادس عشر أن المسيح قد جعل بطرس ظله وخليفته على الأرض ، فإن الإنجيل نفسه يذكر فى الإصحاح السادس عشر نفسه بأن بطرس هذا قال له المسيح اذهب عنى يا شيطان (٢) بل يشهد الإنجيل نفسه بأن بطرس هذا كان جباناً وكذاباً ، وقد أقسم بالله كذباً أنه لا يعرف المسيح

---

(١) تفسير العهد الجديد : وليم باركلى – ترجمة القس فايزفارس – جـ١ ص ٣١٣ – ط دار الثقافة .

(٢) انجيل متى : ص ٦ – ف ٢٣ .

رغم أن المسيح قد نهاهم عن القسم (١) ولو كان حقاً فكيف لو كان كذباً؟ جاء في الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى قوله " أما بطرس فكان جالسا في الدار خارجاً فتقدمت إليه جارية قائلة ، وأنت كنت مع يسوع الجليلي فأنكر قدام الجمع قائلاً لست أدري ما تقولين ، وحينما هو خارج الباب فرأته جارية أخرى فقالت للذين هناك ، وهذا كان مع يسوع الناصري ، وأنكر أيضاً بحلفان أني لست أعرف هذا الإنسان ، وبعد قليل تقدم القيام وقالوا لبطرس حقاً إنك منهم ، فإن كلامك يظهرك ، حينئذ بحرم ويحلف أنه لم يعرف هذا الإنسان ، وللوقت صاح الديك فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال انه من قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات ، فخرج خارجاً وبكى بكاءً مراً " (٢)

وإذا فنحن إما أن نأخذ بالنصين معاً فيكون بينهما اضطراب ، حيث تكذب كل منهما الأخرى ، وإما أن نأخذ بأحد النصين فنترك الآخر ويلزمنا عندئذ أن نأخذ بالمتأخر منهما ، فيكون ما آل إليه بطرس هو أنه خائن كذاب ، فكيف يؤمن مثل هذا على أن يحمل الشريعة ، فضلاً عن أن يكون هو المشرع ؟ !

متى يعطى هذا السلطان للتلاميذ أجمعين :

وإذا كان كاتب إنجيل متى قد أعطى حق الحل والربط لبطرس رئيس الحواريين في الإصحاح السادس عشر من إنجيله ، فإنه قد زاد في كرمه فجاد بهذا الحق على التلاميذ أجمعين ، حيث جاء فيه " الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء " وبناءً على هذا النص يكون حق الحل والربط لرجال الدين أجمعين وليس لبابا روما وحده ، لأنه

---

(١) زعم النصارى أن المسيح قد نهاهم عن القسم البتة وأمرهم أن يقولوا نعم أولاً ، متى ص ٥ – ف ٣٣ ، ٣٧ .

(٢) إنجيل متى : ص ٢٦ – ف (٦٩-٧٥) .

خليفة بطرس ، لان هذا الحق لم يمنح لبطرس دون غيره من التلاميذ ، ولقد استغل النصارى التقليديون هذه النصوص فى التخلص من تشريعات العهد القديم التى قال لهم المسيح عنها " لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس او الانبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فانى الحق أقول لكم الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات ، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات ، فانى الحق أقول لكم انكم ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات " (١) .

وبعد هذا التاكيد من المسيح – عليه السلام – على ضرورة – الأخذ بشرائع العهد القديم لم يجد النصارى أمامهم بداً من أن يوجدوا مثل تلك النصوص التى تعطيهم الحق فى تغيير ما شاءوا من أحكام العهد القديم ، أو حتى العهد الجديد .

على اية حال فقد اتخذت الكنائس التقليدية ، وخاصة الكنيسة الكاثوليكية من النصوص السالف ذكرها سيفاً مسلطاً على رقاب اتباعها ، والمخالفين لها ، وخاصة بعد انعقاد مجمع لاتيران الرابع ١٢١٥م بشأن الهراطقة " إذ أباح للكنيسة استئصالهم ، وكانوا يُعنون بالهراطقة كل من يرى رأياً يخالف رأى الكنيسة ولو كان فى أمور تتعلق بشئون السياسة ، ونظم الحكم أو بمسائل العلوم وظواهر الفلك ، والطبيعة والأحياء ، وقد نُفذ ذلك القرار بالفعل فى كثير من دعاة الإصلاح فى الدين ، وممن خالفوا اراء الكنيسة فى شئون السياسة – ومسائل العلوم " (٢)

---

(١) إنجيل متى ص ١٨ ف (١٧ – ٢٠) .

(٢) الاسفار المقدسة فى الاديان السابقة للإسلام د / على عبد الواحد – ص ١٤٠ .

وباسم هذه النصوص أيضا صارت الكنيسة الكاثوليكية هى الامبراطورية وصار البابا هو الحاكم بأمره حتى فى رقاب الملوك أنفسهم .

وعن هذا يقول الدكتور / عزت زكى " أما تلك الإمبراطورية الكنسية فقد كانت فى واقع الأمر فى تحرر كامل ، من القوى المدنية فى كل دولة او مجتمع – لقد كانت أعلى من الملوك فى مستواها ، وفوق الاباطرة والامراء فهى قديمة قبل العروش والمماليك ،والملوك أنفسهم كانت تبتز عروشهم إن هم حاولوا الوقوف ضدها ، ولذلك كان عليهم أن يحنوا لها الرووس ويخطبوا ودها . وفى نفس الوقت ، كان هذاالنظام داعية لطبقة الإكليروس إلى التكبر والتعالى على النظم المدنية ، والمجتمعات التى يعيشون فيها ، لانه حتى فى حالة ارتكاب جريمة لم يكن من الممكن محاكمتهم على أساس القوانين السائدة فى البلاد ، لقد كانوا يجاهدون للإبقاء على قوانينهم الخاصة والتى تسرى عليهم . ، ومن الضرورى أن نلاحظ مدى أثر هذا النظام الكنسى على الممالك والشعوب ، فقد كان رجاله يمسكون فى أيديهم السلطة الدينية ، والدنيوية معاً ، وكان فى حوزتهم مفاتيح السماء والأرض ، فقد كانوا يقومون بمعمودية الأطفال، وعلى الرغم من انه لم يكن لهم الحق فى عقد الذبيحات ، كانت كل الذبيحات تتم على أيديهم . فإذا جاءت الساعة الحاسمة فى حياة الإنسان كانوا هم الذين يغمضون أعين الموتى ، ولهم الحق فى تقرير إذا كان المتوفى يجوز له أن يدفن فى مقابر الكنيسة أم أن جسده يدنس ترابها لكونه منحرفاً عن تعاليمها . ولذلك كان يُحرم من هذا الامتياز ، ما تركة المتوفى وتوزيعها فقد كانت من حقهم ، فإذا ظهرت وصية له فعلى الورثة أن يثبتوا ذلك فى البلاط الكنسى ، والويل لمن تحدثه نفسه بأن يثور على نظام المدنية لإصدار الحكم عليه ، ثم يكون نصيبه عامود (خازوق) ليحرق بعد ذلك فى الميادين العامة ، أما السلطة المدنية فما

كانت تعمل إلا في خضوع لأوامرهم ، ومن هنا نلاحظ أية قوة كانت لهم على العقول والأذهان كما على الحياة والمصير ، والمرقد الأخير.(١) .

وهكذا لم تسلم من الإستبداد الكنسي لا الشعوب ولا الملوك ، بل تحكم رجال الكنيسة في رقاب الناس أحياءً وأمواتاً ، واعطوا لانفسهم الحق في ثرواتهم بعد وفاتهم ، وليس ذلك فحسب بل " لقد احتجزت الكنيسة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة عندهم ، واستبدت بتفسيرها دون سائر الناس ، ولا معقب لما تقول في هذا التفسير ، او في أي راي تبديه او أمر تعلنه ، وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول ، وافق العقل او خالفه ، وعلى المسيحي إذ لم يستسغ عقله قولاً قالته أو مبدءاً دينياً اعلنته ان يروض عقله على قبوله ، فإن لم يستطع فعليه أن يشك في العقل ، ولا يشك في قول البابا ، لان البابا خليق لتسلسلة الخلافة التي بيناها . ولقد كانت تعلن أموراً ما جاء بها الكتاب المقدس عندهم ، وما تعرض له المسيحيون الأوّل ولا المجامع الاول ، وهي غريبة حد الغرابة ، بعيدة عن القبول في أحكام العقل جد البعد ، وتلزم المسيحيين بها وتفرضها عليهم فرضاً . ، ومن قال كلمة فيها ، فالويل له في الدنيا ولا ينتظرون حساب الديان في الآخرة (٢)

أضف إلى ذلك ما اقنع به رجال الدين شعوبهم من سر الاعتراف الذي يوجب على الإنسان رجلاً كان أو امرأة أن يعترف أمامه بما اقترف من ذنوب ، ثم يقوم ذلك الكاهن – إنشاء بمغفرة ذنوبة بل وكتابة صك بمغفرة ذنوبة .

وفي هذا المعنى يقول حبيب جرجس " سر التوبة هو سر مقدس به يرجع الخاطئ الى الله ، ويتصالح معه تعالى باعترافه بخطاياه أمام كاهن

---

(١) المسيحية في عصر الإصلاح د / عزت زكي – ص ١٤، ١٥ .

(٢) محاضرات في النصرانية / للشيخ أبي زهرة – ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .